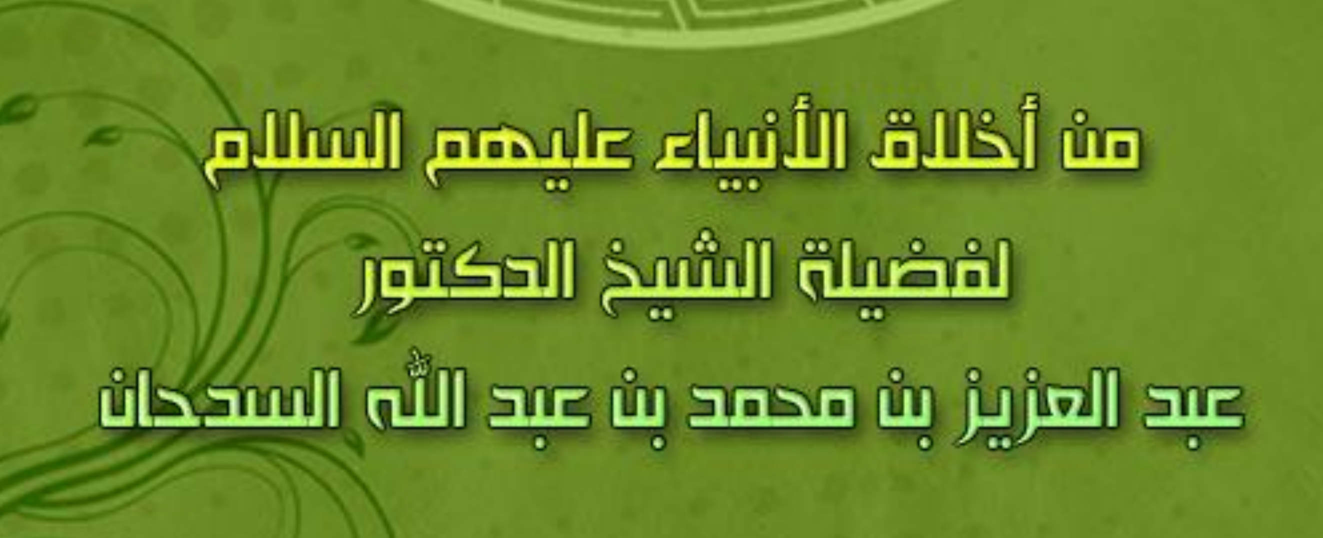


من أخلاق الأنبياء عليهم السلام

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان

إعداد

سعد بن عبدالعزيز أبو خليل

مصدر هذه المادة :





مقدمة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وبعد ، فقد قرأت الرسالة التي بعنوان : (من أخلاق الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام ، من تأليف الشيخ : عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان فوجدتها رسالة مفيدة في موضوعها جيدة في عرضها وأسلوبها تحث على الاقتداء بالأنبياء ، عملاً بقول الله تعالى : ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ فجزاه الله خيراً على ما كتب ونفع به وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضوء هيئة كبار العلماء

1428/3/23 هـ

مقدمة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وبعد :

فقد قرأت هذه الرسالة التي تتعلق بأخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والتي ألفها الشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمد السدحان وفقه الله تعالى وسدد خطاه فوجدتها رسالة قيمة مفيدة في هذا الموضوع الشريف وهو حسن الخلق وآثاره ونتائجه وقد أورد ما تيسر له من الأخلاق الحسنة والتي دل عليها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة فأحسن في الانتقاء والاختيار وأجاد وأفاد فننصح بنشر هذه الرسالة والاستفادة منها ليحصل التخلق بهذه الأخلاق الشريفة وليقتدي الخلف بالسلف حتى يحصل الانتفاع والتأثر بهذه السمات الفاضلة ونتائجها وفق الله تعالى هذه الأمة لما فيه الخير والصلاح والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسائر النبيين وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

1428/5/5 هـ

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن موضوع (أخلاق الأنبياء عليهم السلام) موضوع جدير بأن يُقرأ فيه، وأن يُتكلم فيه، وأن يسمع فيه؛ لأنَّ فيه الخير كله، فالأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – هم الذين بلغوا رسالات الله إلى أقوامهم، وهم صفوة خلق الله عز وجل، ولهم من الفضائل والخصال ما لا يُوصل – بل ما لا يُقرب – إلى مثله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وسأذكر في صدر هذه الرِّسالة[1] مقدمات بين يدي الموضوع، وهذه المقدمات فيها بيان لأهمية الموضوع خاصة، ولمقام النبوَّة عامة وخصوصًا كذلك:

---

(1) أصلها محاضرة ألقيت في جامع أبي هريرة ﷺ، مغرب يوم الثلاثاء 1428/2/9هـ ، ثمَّ ألقيت بعض معالمها في إذاعة القرآن الكريم يوم الثلاثاء 1428/4/7هـ في برنامج (معكم على الهواء) مع الشيخ/ عبد الكريم المقرن، وكان ذلك وقت إعداد الكتاب للطبع.

المقدمة الأولى:

أن من أسماء الله تعالى (الحكيم)، والحكيم هو : الذي يضع الأمور مواضعها.

إن في البشر حكماء، لكن حكمة البشَر مهما بلغت يَعتريها النقص والخلل.

أمَّا في شأن حكمة الله تعالى فحكمتُه بالغة في الكمال أعلاه، وبالغة في الكمال منتهاه، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 83]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 17]، ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحريم: 2] ، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: 84].

يُخبر الله تعالى بذكر هذه الصفات له، وهو – عز وجل – له الأسماء الحسنى، وله الصفات العُلى.

المقدمة الثانية:

من حكمة الله – تعالى – وعظيم صنعه في خلق الناس أن فاضل بينهم في الأنساب، وخالف بينهم في الألسنة والألوان، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: 22].

فالناس فيهم الرَّئيس والمرؤوس، وفيهم الغني والفقير، وفيهم العربي والعَجَمي، وفيهم الفاضل والمفضول.

المقدمة الثالثة:

في تغاير أحوال الناس، واختلاف أنسابهم وعقولهم وعلومهم، وكثرة أموالهم، وغير ذلك حكم عظيمة. ومن تلك الحكم:

أن الحياة لا تكمل إلا بذلك. فلو كان الناس كلهم أغنياء لتعطلت منافع كثيرة، ولو كان الناس كلهم فقراء لتعطلت منافع كثيرة، قال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: 32]، ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن: 2].

فأنت إذا قلّبت الطرف في أحوال الناس على اختلاف أعصارهم، وتباعد أقطارهم، واختلاف ألسنتهم وألوانهم، رأيت فروقًا كثيرة: غني وفقير، سليم وعليل، رئيس ومرؤوس، مؤمن وكافر، وهلم جرًّا.

المقدمة الرابعة:

مع تغيُّر أحوال الناس ومع تمايزهم، إلَّا أنَّ الرِّفعة الحقيقية هي رفعة الإيمان بالله عز وجل، مهما تغايرت أنساب الناس، وتكاثرت أموال

بعضهم على بعض، فالعبرة بالرِّفعة الحقيقية وهي رفعة الإيمان. ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

ولهذا يتفاضل الناس، ويزن الناس أنفسهم بموازين: ميزان النسب، ميزان المال، ميزان الولد، ميزان العشيرة، وهذه الموازين بها يتفاضل الناس على بعضهم البعض، وبها في مجالسهم ومجتمعاتهم يزنون أنفسهم في غالب أحوالهم – إلَّا ما شاء الله –وهذه الموازين لا قيمة لها إذا خَلت من الميزان الحقيقي؛ ولهذا ميزان النسب باطل إذا لم يسخِّره صاحبه في طاعة الله، ويستعين به على طاعة الله. ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [المؤمنون: 101].

ميزان كثرة المال والولد*: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 88 - 89].

ميزان العشيرة: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: 34 - 36].

إذن الميزان الحق والرفعة الحقيقية: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

المقدمة الخامسة:

الرِّفعة بالإيمان رفعتان:

1 – الرفعة بالإيمان لأهله المؤمنين؛ فالمؤمنون مرتفعون على غيرهم من غير المؤمنين. ﴿ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 139].

2 – وأهل الإيمان فيهم أناس يرتفعون على من سواهم من بقية المؤمنين بخاصية خصَّهم الله وفضَّلهم بها، وهي العلم.

وقد جمع الله الرِّفعتين في سورة المجادلة الآية (11)، فقال عز وجل: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُوا مِنْكُمْ ﴾، هذه الرفعة الأولى بالإيمان ﴿ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ وهذه الرفعة الثانية.

إذن؛ الرِّفعة العامَّة هي لأهل الإيمان على غير المؤمنين، والرِّفعة الخاصة هي لأهل العلم من أهل الإيمان على سائر المؤمنين.

المقدمة السادسة:

أهل الرِّفعة الخاصَّة بالعلم والإيمان يتفاوتون فيما بينهم، فالعلماء يتفاوتون بينهم، إلَّا أنَّ هناك منزلةً يصعُب التشوُّف لها فضلًا عن

قُربها، ناهيك عن بلوغها، منزلة خصَّ اللهُ عز وجل بها أقوامًا من الناس، منزلة اصطفى الله لها أناسًا من خلقه، تلك المنزلة هي: منزلة النبوَّة والرِّسالة.

فأولئك الثلة المباركة من أنبياء الله ورسله عليهم السلام قد بلغوا منزلةً فضَّلهم الله سبحانه وتعالى بها. لن يصل إليها – بل لن يُقاربها – أحدٌ من الناس.

تلك الثلة المباركة اصطفاهم الله: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج: 75]، ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: 124]. هذه الثلة المباركة: ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ* وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ﴾ [ص: 46- 47].

نصر الله من نصرهم وآواهم: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ [غافر: 51].

وعاقب الله وأخزى من كذبهم وعاداهم: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الأنبياء: 41].

المقدمة السابعة:

أن الأنبياء والرُّسل – عليهم الصلاة السلام – يتفاضلون فيما بينهم: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: 253]. فأولو العزم أفضل الرُّسل. وأفضل أولي العزم الخليلان إبراهيم ﷺ، ونبيُّنا محمدٌ ﷺ، وأفضل الخليلين نبيُّنا محمدٌ ﷺ. فهو ﷺ أفضل الأنبياء والمرسلين بتفضيل الله تعالى له، عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أفضل وأزكى الصلاة والتسليم (1).

المقدمة الثامنة:

من عظيم مكانة الأنبياء – عليهم السلام – ورفيع منزلتهم وشريف مرتبتهم أن الفِطَر تطمئن لصادق دعوتهم، وصدق ألسنتهم ومقالهم،

(1) هنا أمرٌ لا بُدَّ أن نعلمه لأهميته في تقرير البدع والسنن؛ فتفضيل المكان وتفضيل الزمان، وتفضيل الإنسان.. مردُّها إلى الشارع الحكيم، فالرُّسل عليهم الصلاة والسلام يتفاضلون، والذي فاضل بينهم هو الله الذي أرسلهم، ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، والبقاع تتفاضل، فالمساجد أفضل البقاع؛ لأن الشرع فضَّلها، والأزمنة تتفاضل، فلرمضان فضل وليوم عرفة فضل وليوم عاشوراء ولصيامه فضل، وهكذا، فإذا رأيت من يفضِّل إنسانًا أو مكانًا أو زمانًا تفضيلاً شرعيًّا دون نصٍّ من الشرع فاعلم أن تفضيله ذاك بابٌ إلى البدعة.

وأنَّ العقول تقطع بصحة كلامهم وبحقيقة دعوتهم، والقلوب تطمئنّ وتستكين لصدق ما جاؤوا به.

وذلك لما للأنبياء عليهم السلام من عظيم الرُّتبة وشريف المنزلة، ولأنَّ دعوتهم هي دعوة التوحيد، وهي الدعوة الحق، وما سواها باطل.

المقدمة التاسعة:

مع عظيم شرف الأنبياء عليهم السلام، ورفيع مرتبتهم، إلَّا أنهم بشر؛ يمرضون، ويحزنون، ويبكون، وتضيق صدورهم، ويموتون.. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 43]، ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هود: 12]، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: 80]، ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: 97]..فالأنبياء عليهم السلام بشَرٌ ليس فيهم شيء من صفات الرُّبوبية أو الألوهية.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:34]، ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:50].

المقدمة العاشرة:

مع بشريتهم – عليهم الصلاة والسلام – فقد خصَّهم الله تعالى بخصائص دون الناس. وهذه الخصائص لا تخرجهم عن دائرة البشرية ولكن الله – جل وعلا – خصَّهم واصطفاهم بها دون غيرهم.

فمن خصائص الأنبياء والرُّسل دون الناس: الوحي.

ومنها: العصمة.

ومنها: أن أعيُنهم تنام لكن قلوبهم لا تنام.[1]

ومنها: أنهم يُخيَّرون عند الموت، هل تريد أن تبقى بشرًا مخلدًا أو أن تموت؟[2].

ومنها: أنهم يُدفنون في المكان الذي ماتوا فيه، وقد جاء في الحديث:

«**ما قُبض نبيٌّ إلا دُفن حيث قُبض**»[3].

ومنها: أن الله – عز وجل – حرَّم على الأرض أن تأكل أجسادهم[1].

---

(1) في حديث أنس ﷺ الطويل في الإسراء والمعراج قال: «... **وكذلك الأنبياء تنام أعينُهم ولا تنام قلوبُهم**». أخرجه البخاري (7517).

(2) كما في صحيح البخاري (4586)، ومسلم (2444) من حديث عائشة – رضي الله عنها – عن النبي ﷺ قال: «**ما من نبيٍّ يمرض إلَّا خُيِّر بين الدنيا والآخرة**».

(3) أخرجه ابن ماجه (1628) عن أبي بكر ﷺ بإسناد ضعيف، ولكن له طرق وشواهد يصحّ بها.

ومنها: أنهم أحياءٌ في قبورهم يصلّون.

المقدمة الحادية عشرة:

كما أن للأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – خصائص دون الناس، فإن أفضلهم وهو نبيُّنا محمدٌ – عليه الصلاة والسلام ، له خصائص دون سائر الأنبياء عليهم السلام، فهو يشارك الأنبياء فيما سبق من الخصائص ويزيد عليهم بخصائص له دون غيره.

ففي حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«فُضِّلتُ على الأنبياء بستّ: أُعطيتُ جوامعَ الكَلِم، ونُصِرتُ بالرُّعب، وأُحِلّت لي الغنائم، وجُعِلت لي الأرضُ طهورًا ومسجدًا، وأُرسِلتُ على الخلق كافة، وخُتِم بِي النبيُّون»**.[2]

وعن جابر بن عبد الله ﷺ : أن النبي ﷺ قال: **«أُعطِيتُ خمسًا لم يُعطَهُنَّ أحَدٌ قَبلي: نُصِرتُ بالرُّعب مسيرةَ شهر، وجُعِلت لي الأرض مسجدًا وطهُورًا؛ فأيما رجل من أمَّتي أدركتهُ الصلاة فيلصلِّ ، وأُحلّت لي المغانم ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي، وأُعطيتُ الشفاعة، وكان النبيُّ يُبعَثُ إلى قومه خاصَّة وبُعثتُ إلى الناس عامَّة»**[3].

---

(1) فإن قال قائل: قد يكون ذلك خاصية لغير الأنبياء من الشهداء؟ فيقال: نعم، لكنها خاصية لجميع الأنبياء عليهم السلام بخلاف غيرهم، فقد يُنعم على بعضهم دون بعض.

(2) أخرجه مسلم (523).

(3) أخرجه البخاري (335)، ومسلم (521).

فمن خصائص نبيّنا محمد ﷺ:

1 – أنه ﷺ أُعطي جوامع الكلم: كما تقدم في حديث أبي هريرة ﷺ قريبًا. وذكر بعضُ الشُّراح أن «**جوامع الكلم**» أن يتكلم كلمةً أو جملة يدخُل تحتها الكثير من المعاني العظيمة الجميلة.

2 – أن الله – عز وجل – نصَرَه ﷺ بالرُّعب مسيرة شهر.

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – تحت حديث جابر بن عبد الله ﷺ المتقدم: «مفهوم أنه لم يوجد لغيره النصرُ بالرُّعب في هذه المدة، ولا في أكثر منها، أمَّا ما دونها فلا، لكن لفظ رواية عمرو بن شعيب: «**ونُصرتُ على العدوِّ بالرُّعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر**»، فالظاهر اختصاصُه به مطلقًا، وإنما جعل الغاية شهرًا؛ لأنه لم يكن بين بلدِه وبين أحدٍ من أعدائه أكثرُ منه، وهذه الخصوصية حاصلةٌ له على الإطلاق، حتى لو كان وحده بغير عسكر. وهل هي حاصلةٌ لأمَّته من بعده؟ فيه احتمال»[1].

3 – أن الغنائم أُحلت له ﷺ بخلاف من قبله.

4 – أن الأرض جُعِلَت له ﷺ ولأمَّته مسجدًا وطهورًا، بخلاف من كان قبله فإنهم لا يُصلون إلا في أماكن الصلاة.

5 – أنه ﷺ خاتم الرُّسل وأفضلهم وأكثرهم تابعًا يوم القيامة.

---

(1) فتح الباري (521/1).

6 – أن رسالته ﷺ للناس كافة، فقد كان كلُّ نبي يُرسل إلى قومه. أمَّا نبيُّنا ﷺ فقد بُعِث إلى الناس كافة. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: 28]، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158].

7 – بقاء مُعجزته الخالدة وهي القرآن الكريم. وهو محفوظٌ بحفظ الله تعالى، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9].

المقدمة الثانية عشرة:

من لوازم منزلة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – أنهم إذا كانوا أفضل البشر، فإن من لازم ذلك أن أخلاقهم أفضل الأخلاق، وأن آدابهم أفضل الآداب على الإطلاق. فهم أهل السَّمت والمروءة والأخلاق النبيلة والصفات الشريفة، عليهم الصلاة والسلام.

المقدمة الثالثة عشرة:

لعظيم شأن الأنبياء – عليهم السلام – وعظيم شأن أخلاقهم وهديهم ودعوتهم، فإن الله عز وجل أمر أفضلهم – وهو نبيُّنا محمدٌ ﷺ – أن يقتدي بهداهم فقال سبحانه وتعالى له ﷺ: ﴿أُولَئِكَ

﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ [الأنعام:90]؛ أي: يا محمد، اقتدِ بهُدى الأنبياء من قبلك.

المقدمة الرابعة عشرة:

لزم النبيُّ ﷺ ذلك وسار على هدي إخوانه الأنبياء عليهم السلام، وزاده الله تعالى فضلًا؛ فكان أعظم الأنبياء عليهم السلام منزلةً، وكانت أخلاقُه أعظم الأخلاق وأشرفها.

فلقد زكَّى الله لسانه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: 3].

وزكَّى بصره: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: 17].

وزكَّى الله خُلُقَه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

قال بعض علماء الشافعية: «وتعظيم العظماء للشيء يدُلّ على توغله في العظمة، فكيف إذا كان المعظِّم هو أعظمُ العظماء، وهو الله سبحانه وتعالى».

المقدمة الخامسة عشرة:

أمرانا الله – جل وعلا – بلزوم الاقتداء بنبيّنا محمد ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

أمرنا بالسَّير على نهجه، وبالاقتداء بهديه وشريف أخلاقه وصفاته.

وجميعُ صفاته ﷺ نبيلة.

المقدمة السادسة عشرة:

عظم الإسلامُ شأن الأخلاق وذلك من وجوهٍ كثيرة، منها:

1 – أن الله تعالى أثنى على نبيه ﷺ بعظيم خُلقه الفاضل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: 4].

2 – أن النبي عليه الصلاة والسلام – وهو أعظم وأفضل البشر أخلاقًا – كان يدعُو ربَّه بأن يرزُقه حُسن الأخلاق. «**واهدني لأحسنِ الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلَّا أنت**»[1]، «**اللهمَّ كما حسَّنت خَلْقي فحَسِّن خُلُقي**»[2].

3 – أن الإسلام جعَل حُسن الأخلاق قُربةً قد تُساوي بعض القُرَب العظيمة. قال ﷺ: «**إن الرَّجُل ليُدرِك بحُسن خُلقه درجةَ القائم بالليل الصائم بالنهار**»[3].

(1) أخرجه مسلم (771) من حديث عليَّ رضي الله عنه، وأوله: كان ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال: «**وجهتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض**...» الحديث.

(2) أخرجه الإمام أحمد في المسند (403/1) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وكذا (68/6، 155) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(3) أخرجه أبو داود (4798)، وأحمد (187/6) من حديث عائشة رضي الله عنها.

4 – أن النبي ﷺ بيَّن أن أقرب الناس إليه يوم القيامة أحسنُهم أخلاقًا. قال ﷺ: «**إنَّ أحبكم إليَّ وأقربكم منِّي منزلًا يومَ القيامة أحاسنكم أخلاقًا**»[1].

5 – الحذر والتحذير من سيِّئها. قال ﷺ: «**واصرف عنِّي سيِّئها؛ لا يصرفُ عنِّي سيِّئها إلَّا أنت**»[2].

6 – أنه ﷺ بيَّن أن الأخلاق تؤثِّر على العمل صلاحًا أو فسادًا، قال ﷺ: «**أحبُّ الناس إلى الله تعالى أنفعُهم للناس...** » الحديث، وفي آخره: «... **إن سُوءَ الخُلُق يُفسِد العملَ كما يُفسِد الخلُّ العسلَ**»[3].

المقدمة السابعة عشرة:

مما تقدم من عظيم شأن الأنبياء عليهم السلام وشأن أخلاقهم، وما للأخلاق في الإسلام عند الله – عز وجل – من المنزلة الرَّفيعة والدرجات المنيفة، حريّ بكلِّ مسلم أن يُعنَى بتهذيب أخلاقه، وأن يكون حَسَن الأخلاق في جميع جوارحه وفي جميع مجالسه، وأن

---

(1) أخرجه أحمد (193/4)، وابن حبان (5557- الإحسان) من حديث أبي ثعلبة الخُشَني رضي الله عنه.

(2) أخرجه مسلم (771) من حديث علي رضي الله عنه، وتقدم قريبًا.

(3) أخرجه الطبراني في الكبير (453/12) وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (ص:47). وحسنه الألباني في الصحيحة (906).

يستشعر منزلة الخلق الحسن، وأن يَعلم أن الأخلاق الحسنة دعوةٌ صامتة، فكم دخل في الإسلام من قوم بسبب الأخلاق الحسنة، وكم أبغض الإسلام من أقوام وزاد بُغضُهم للإسلام بسبب سيِّئ الأخلاق، فحريٌّ بكل مسلم أن يَرعَى هذا الجانب فيما يتعلق بتحسين أخلاقه.

المقدمة الثامنة عشرة:

بعد هذه المقدمات أختم بمقدمة أخيرة، وهي: أن أيَّ خُلُق ذكره الله – عز وجل – في بعض أنبيائه، فهو في جميع الأنبياء عليهم السلام؛ لأن بعضهم يقتدي ببعض، وكل واحد منهم يقتدي بمن قبله.

وبعد سياق تلك المقدمات الثماني عشرة، أسوق بعض ما يسَّر الله تعالى من أخلاق الأنبياء والرُّسل عليهم الصلاة والسلام، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

* * *

خشيتهم عليهم السلام لله عز وجل

من أخلاق الأنبياء عليهم السلام: أنهم أكثر الناس خشيةً لربِّهم.

فهم عليهم السلام أعلم الناس بالله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]. والأنبياء عليهم السلام أخشى الناس لله عز وجل. لهذا فمن تأمَّل في الآيات الكريمة وفي الأخبار النبويَّة عن الأنبياء عليهم السلام رأى عشرات – بل مئات – الأمثلة:

فآدم عليه السلام قال الله عز وجل عنه: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: 22]. فبادر عليه السلام: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23].

ونوح عليه السلام: لما سأل ربَّه عز وجل نجاة ابنه، وتبيَّن أنه لم يوفق إلى الصواب، وبيَّن له ربُّه خطأ ذلك منه، بادر عليه السلام ولم يتوان، واستغفر ربَّه: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: 45- 46]. فبادر عليه السلام

خشيةً وخوفًا وطمعًا في مرضاة الله – عز وجل – وخشية عقابه وسخطه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود: 47].

ويونس ذو النون عليه السلام: غضب على قومه وسخط عليهم ولم يصبر، لكن لما نبَّهه ربُّه عز وجل رجع فبادر ولم يتوانَ: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 87]. وفي سورة الصافات: ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ* وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴾ [الصافات: 143 – 146]. فدعا عليه ربَّه عز وجل ووحَّده وسأله أن يُنجيه، فاستجاب الله سبحانه وتعالى ذلك له.

وموسى عليه السلام: وكَز رجلًا فمات، وتبيَّن له خطأ ذلك الأمر: ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ [القصص: 15]. ثمَّ سارع عليه السلام فاعترف أنه ظلم نفسه وسأله الله المغفرة:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: 16].

وداود عليه السلام: كان كسائر إخوانه الأنبياء عليهم السلام سريعًا في الأوبة والعودة لما امتحنهُ الله عز وجل في الحكم بين الخصمين: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: 24].

وبكلِّ حال؛ فمع ما للأنبياء عليهم السلام من المنازل المنيفة، والرُّتَب النبيلة الشريفة، فقد كانوا أسرع الناس أوبةً إذا تبيَّن أنهم أخطؤوا.

* * *

أدبهم عليهم السلام مع الله

ومن أخلاق الأنبياء عليهم السلام: أنهم أعظمُ الناس أدبًا مع الله عز وجل.

ومن شواهد ذلك ما قصَّ الله تعالى في القرآن علينا في شأن عيسى عليه السلام عندما قال الله تعالى له – هو تعالى يعلم ذلك –: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ

عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: 116].

فهو ﷺ لم يقُله، فدعوته ودعوة جميع الأنبياء عليهم السلام إلى التوحيد وهدم الشرك، ولكن عيسى ﷺ سلك مسلك أدب الأنبياء عليهم السلام مع ربِّهم عز وجل.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «وهذا توفيق للتأدب في الجواب الكامل».

* * *

عدم انتقامهم عليهم السلام لأنفسهم

ومن أخلاق الأنبياء عليهم السلام: أنهم لا ينتقمون لأنفسهم ولا ينتصرون لها، بل كان همُّهم ومقصدهم مرضاة ربِّهم عز وجل، فلا ينتقمون إلَّا إذا انتُهكت حُرُمات الله تعالى، أمَّا لأنفسهم فلا.

يعقوب ﷺ: لما عَلِم أبناؤه بافتضاح أمرهم، وعلموا بخطئهم، وعلموا أن يوسف موجودٌ وحيٌّ يُرزَق في ذلك الوقت.. رجعوا منكسرين إلى أبيهم: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ [يوسف: 97]، ومع أن يعقوب ﷺ ذاقَ الأمرَّين من بُعد يوسف عنه، ومن مكر إخوانه به، ومن كذبهم عليه.. مع هذا

كله: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: 98].

ثم هنا مسألة: لماذا قال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ﴾ ولم يقل: سأستغفر، ولم يدعُ لهم مباشرة؟

أجاب بعض المفسرين بأنه أخَّر دعاءه لهم إلى السَّحَر؛ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: 17].

ويوسف عليه السلام: كذلك لم ينتقم من إخوانه، مع شناعة ما فعلوا به، ومع قدرته على الانتقام منهم، إنما قال لما علموا أمره: ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 90]، فقال إخوته: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 91] هل انتقم؟ أو وبَّخ؟ هل فعل؟ حاشا وكلَّا.. لأنهم الأنبياء أهل الخلق الرَّفيع، بل قال: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 92].

بل بلغ من عظيم أدبه – عليه الصلاة والسلام – أنه لما اجتمع شمله مع أبيه وإخوته قال: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ

﴿السِّجْنِ﴾ [يوسف: 100]، ولم يقل: ومن الجُبّ، حتى لا يجرح مشاعر إخوانه، ثمَّ قال: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾، مع أن الشيطان لم ينزغ من جهته، ولكنه نزغ من جهة إخوته، ولكن كل ذلك من باب عدم جرح مشاعر إخوته، فلم ينتقم – عليه الصلاة السلام – لنفسه.

أمَّا نبيُّنا محمد ﷺ: قالت عائشة رضي الله عنها: «ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط، حتى تُنتهك حُرُمات الله»(1).

كان عليه الصلاة والسلام – يُخطأ عليه، ويُساء إليه، ولكنه كان يعذر ويلتمس العذر؛ لأنه كما ذكر الله عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

عن أنس بن مالك ﷺ قال: «خرجتُ مع النبيّ ﷺ وعليه بُردٌ نجراني غليظ الحاشية، فجاء رجلٌ فجَبذ البُرد حتى أثَّر البُردُ في صفحة عُنُق النبي ﷺ ثمَّ قال: يا محمد، مُر لي من مال الله الذي عندك! فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثمَّ ضحك ثمَّ أمرَ له بعطاء»(2).

لقد أساء هذا الرَّجُل الفعل حين جبذَ البُرد، وأساء بالقول لغلظة الخطاب وشدَّته.

---

(1) رواه البخاري (6786) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(2) رواه البخاري (3149)، ومسلم (1057) من حديث أنس ﷺ.

ولقد كان بمقدور النبي – عليه الصلاة والسلام – أن يُعاقبه، وأن يُعـزِّره، وأن لا يُعطيـه شـيئًا، ولكنـه كمـا قـال الله تعـالى عنـه: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: 128].

وفي المسند أن النبيَّ ﷺ لما قسم بعض الغنائم أعطى المؤلفة قلوبهم وترك الأنصار، فكأنَّ بعض الأنصار وجد في نفسه من ذلك، فلما بلغ الخبرُ النبي – عليه الصلاة والسلام – جمعهم، مع علمه بما قالوا، ومع قُدرته على أن يعاقب من قال، ولكن انظر إلى عظيم الأدب، ورفيع الخلق. حيث قال: «**يا مَعَشَـرَ الأنصـار، مـا قَالـةٌ بَلَغتـنِي عَنكُم؟**»، لم يقل: إنكم قلتُم. مع أنهم قالوا ذلك.

ثمَّ قال ﷺ لهم: «أمَا والله لو شِئتُم لقُلتُم فلصدَقتُم وصُدِّقتُم: أتيتنَا مُكـذَّبًا فصـدَّقناكَ، ومخـذُولًا فنصـرنَاكَ، وطَريـدًا فآوينَـاكَ، وعـائلًا فأغنيناكَ. أو جَدتُم في أنفُسِكم يا معشرَ الأنصار في لُعَاعةٍ من الدُّنيا تألفتُ بها قومًا ليُسلموا ووكلتُكُم إلى إسلامِكُم؟ أفَلا ترضَونَ يا معشرَ الأنصار أن يذهَبَ الناسُ بالشَّاةِ والبعيرِ وترجِعُونَ برَسُولِ الله ﷺ في رِحَـالكُم؟ فـو الَّـذي نفسُ مُحمـدٍ بيـدهِ: لـولا الهجـرَةُ لكُنـتُ امـرَأً مـن الأنصـار، ولـو سَلَك النَّـاسُ شعبًا وسلَكت الأنصـارُ شِعبًا لسلَكْتُ شِـعبَ الأنصـار، اللهُـمَّ ارحَـم الأنصـار وأبنـاءَ الأنصـارِ وأبنـاءَ أبنـاءِ

الأنصَارِ». فبكى القومُ حتى أخضلوا لحاهُم، وقالوا: رضينا برسول الله قسمًا وحظًّا [1].

فانظر إلى كمال الأخلاق النبوية، وانظر إلى عدم الانتقام للنفس.

* * *

شكرهم عليهم السلام لله عز وجل

ومن أخلاق الأنبياء عليهم السلام: أنهم أشكر الناس لله عز وجل.

نوح عليه السلام: لقد وصف الله نوحًا عليه السلام بأنه عبدٌ شكور، فقال سبحانه تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: 3].

إبراهيم عليه السلام: أثنى الله عليه بقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ*شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: 120- 121].

سليمان عليه السلام: ذكر الله تعالى في كتابه أنه قال: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ﴾ [النمل:

(1) مسند الإمام أحمد (76/3) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

19]، وقال أيضًا: ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: 40].

موسى عليه السلام: حثه الله على الشكر مع أنه من الشاكرين: ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: 144].

وقال عليه السلام : ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [طه: 33- 34].

نبيُّنا محمد ﷺ: كان أشكر الناس لله تعالى، مع شريف منزلته، وعظيم مرتبته؛ فقد كان – عليه الصلاة والسلام – يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فلمَّا كُلِّم في ذلك، وقيل له: لم تفعل كل هذا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخَّر؟ قال ﷺ: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؟**»[1].

ولعظيم أمر شُكر الله تعالى حثّ – عليه الصلاة والسلام – أمته على شكر الله عز وجل، ولهذا كان من عظيم هذه العبادة – أعني شكر الله تعالى – أنها عند الله تعدل أكثر من النعمة نفسها.

(1) رواه البخاري (4736)، ومسلم (2819) من حديث المغيرة رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «**مَا أنعمَ اللهُ على عبدٍ نِعمةً فشكرَ اللهَ عليها إلَّا كان الذي أعطى أفضلَ من الذي أخذَ**»[1].

أي: كان الذي أعطى من الشكر أفضل من الذي أخذ من النِّعَم.

* * *

(1) أخرجه ابن ماجه (3805) من حديث أنس رضي الله عنه، وحسَّن إسناد البوصيري في الزوائد.

مسارعتهم عليهم السلام في الخيرات

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم أسرع الناس في فعل الخيرات.

فهم لا يتوانون عن فعل الخير. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:90].

نبيُّنا ﷺ قال: ﴿... وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 163].

زكريا عليه السلام: قال الله تعالى عنه: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 89 – 90].

ولهذا حثّ الله – عز وجل – على المسارعة والمسابقة إلى فعل الخير فقال: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الحديد:21]، ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: 133]. فالمسابقة إلى فعل الخيرات من أعمال الأنبياء عليهم السلام وأخلاقهم.

* * *

وفاؤهم عليهم السلام بالوعد

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم أوفى الناس بالوعد إذا عاهدوا، وواعدوا.

والعهد عهدان:

1 – العهد مع الله. 2 – العهد مع الناس.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أوفى الناس بالعهد. ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: 81].

أخذ الله عليهم بهذا العهد: أنه إذا بُعث محمدٌ ﷺ، وأحدٌ منهم حيٌّ أن يتبعه. فالتزموا بذلك، فوفوا بما عاهدوا عليهم الصلاة والسلام.

أمَّا مع الناس فكانوا أوفى الناس بالعهد؛ ولهذا مدح الله إسماعيل عليه السلام فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 54].

فنستفيد من هذا: عظيم شأن الوفاء بالوعد، ولهذا جعل النبي ﷺ الإخلاف بالوعد من صفات المنافقين، فقال عليه الصلاة والسلام:

«أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خلةٌ منهنَّ كانت فيه خلّة من نفاق حتى يدعها...»، وذكر من ذلك: «... **وإذا وعد أخلف»**[1].

وعلى هذا، فينبغي أن يكون المسلمون عامة، وطالب العلم خاصة من أبعد الناس عن تلك الخصال السيئة، وأن يكون مثالًا يُحتذى في الوفاء بالوعد، والعجيب أن الجاهليّين كان يعدُّون إخلاف الوعد من عظائم الأمور.

قال عوف بن النعمان – وكان في الجاهلية الجهلاء – : «أن يموت الرجل عطشًا خيرٌ له من أن يكون مخلافًا لموعد»[2].

وأما الآثار في ذمّ إخلاف الوعد فكثيرة، منها:

ما روي عن سليمان بن داود – عليهما السلام – أنه قال لابن له: «يا بُني، إذا وعدتَ فلا تُخلف؛ فتستبدل بالمودة بُغضًا»[3].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله: حدثني هارون بن سفيان المستملي قال: قلت لأبيك أحمد بن حنبل: كيف تعرف الكذابين؟ قال: بمواعيدهم.

وكانوا يتحاشون الموعد خشية الإخلاف.

---

(1) رواه البخاري (34)، ومسلم (58) من حديث ابن عمرو ﷺ.

(2) أدب الإملاء والاستملاء (ص:41)، تاريخ بغداد (142/3)، تجريد أسماء الصحابة، للذهبي (ص:429).

(3)أدب الإملاء (ص:41).

قال محمد بن إدريس الحنظلي: قلت لقبيصة: تعدني؟ فقال: إذا جئتني فرأيتني لقيتني[1].

ومن **جميل ما قيل في الموعد من الشعر**:

إذا قلت في شيءٍ نعَم فأتمَّهُ فإنَّ نعَمْ دينٌ على الحرِّ واجب

وإلا فقُل لا واسترح وأرح لئلَّا يقولَ الناسُ إنكَ كاذبُ

وقال الآخر:

إذا اجتمع الآفات فالبخل وشرٌّ من البخل المواعد

فلا خيرَ في قولٍ إذا كان ولا خيرَ في قولٍ إذا لم يكن

* * *

معرفتهم عليهم السلام حق الوالدين

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: معرفة حق الوالدين.

وفي شأن مقام الوالدين يقال:

لقد تهاون كثيرٌ من الناس بأمر البرِّ بالوالدين وأهملوا شأنه، وهذا من الخطورة بمكان.

---

(1)أدب الإملاء (ص:42).

فكم هدم عقوق الوالدين من بيوت، وكم فرّق بين المرء وزوجه، وكم أفقر من أناس، وكم عُذِّب بسببه في الدنيا من أناس، وحقّ الوالدين في الآخرة عند الله عظيم.

وقد كان أنبياء الله عليهم السلام أبرَّ الناس بالوالدين.

نوح عليه السلام: قال: ﴿ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ [نوح: 28]. وكانا مسلمين.

يحيى عليه السلام: قال الله عنه: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [مريم: 14].

عيسى عليه السلام قال: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي... ﴾ [مريم: 32].

سليمان عليه السلام قال: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ﴾ [النمل: 19].

يوسف عليه السلام: كان بارًّا بيعقوب عليه السلام. ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [يوسف: 99-100].

ويعقوب عليه السلام: كان بارًّا بإسحاق عليه السلام.

وإسماعيل وإسحاق عليهما السلام: كانا بارَّين بإبراهيم عليه السلام.

وإبراهيم عليه السلام: كان بارًّا بأبيه أعظم البرّ وهو كافر.

وقد يقال: كيف يكون إبراهيم بارًّا بأبيه مع أن أباه على غير دينه؟

فيقال: إن إبراهيم عليه السلام خاطب أباه فقال: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: 42-45].

فهل هناك بِرٌّ بالعاصي أفضل من هذا البرّ؟ وهل هناك عبارات بُنُوَّة إلى مقام الأبوَّة أرق وأرحم وألطف وأحكم من هذه الكلمات؟

يقول بعض المفسّرين رحمهم الله: تلطف الخليل عليه السلام مع أبيه، وخاطبه بأرق الخطاب، فقد تحبَّب الخليل عليه السلام إلى أبيه أربع مرَّات بقول: ﴿يَا أَبَتِ﴾ مبيِّنًا له خطأه، وعظيم وخم العاقبة، وأن عنده علمًا قد خفي على أبيه، ولم يزل معه، بل كان يستغفر له حتى نهاه الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: 114].

وأما نبيُّنا محمدٌ عليه الصلاة والسلام، فقد كان بارًّا بأبويه، وقد يقال: كيف يكون ذلك وقد مات أبواه قبل البعثة؟

فيقال: أليس قد استأذن ربَّه ﷻ أن يزور قبر أمِّه فأذن له، واستأذنه أن يستغفر لها فأبى عليه؟ فبكى ﷺ بُكاءً شديدًا حتى أبكى من حوله[1]، وأنه عليه الصلاة والسلام –كان بارًّا بأعمامه، وقد جاء في الحديث: «**عمُّ الرَّجُل صِنْوُ أبيه**»[2] أي: في مقام أبيه، وقد كان – عليه الصلاة والسلام – أبرّ الناس بأعمامه، وهم في مقام أبيه.

وأعمام النبي ﷺ انقسموا إلى أقسام ثلاثة:

- قسمٌ آمن به ونصره، كالعباس وحمزة رضي الله عنهما.
- قسمٌ نصرهُ ولكن لم يؤمن به، وهو أبو طالب.
- قسمٌ عاداه وحاربه وآذاه، وهو أبو لهب.

ومع هذا كلِّه كان – عليه الصلاة والسلام – بارًّا بهم حريصًا على هدايتهم، حتى إنه بقي عندم فراش عمِّه أبي طالب حتى خرجت روحُه وهو يقول له: «**يا عمّ، قل لا إله إلا الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله**»[3]، أرأيت هذا البرَّ العظيم؟ ما زال مع عمِّه حتى خرجت روحُه فقال ﷺ: «**لأستغفرنَّ لكَ ما لم أُنهَ عنك**»[4].

---

(1) أخرجه مسلم (976) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) أخرجه مسلم (983) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) رواه البخاري (6681) من حديث المسيب رضي الله عنه.

(4) قطعة من الحديث السابق.

وكان ﷺ يُجِلّ حمزة والعباس رضي الله عنهما، فيجل حمزة رضي الله عنه في حياته قبل أن يُستشهد، ويُجل العباس رضي الله عنه ويخاطبه: «**يا عمَّاه**»، ويقبل شفاعته، وهذه من أعظم البرِّ من النبي ﷺ.

* * *

حرصهم عليهم السلام على أولادهم وأهليهم ووالديهم

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم أحرص الناس على أولادهم وأهليهم ووالديهم.

نوح عليه السلام: من بالغ عنايته عليه السلام بأهل بيته أنه ما زال يدعو ابنه ويستعطفه ويرغِّبه ليركب معهُ في سفينة النجاة: ﴿ **يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَّعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [هود:42]، ومع هذا كله ما فارقه، بل ما زال يدعوه ويتلطف إليه لعله يستجيب، ولكن ذلك الابن استمرَّ على عصيانه وقال: ﴿ **سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ** ﴾ [هود: 43]، ومع رحمة الأبوة والحرص على الذرية ﴿ **قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ** ﴾ ، وما زال معه حتى فُرِّق بينهما ﴿ **وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ** ﴾ .

إبراهيم عليه السلام: من حرصه على أهله وذرّيته أنه دعا الله عز وجل أن يهبَ ذرّيته ما وهبه الله إليه. قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124].

وقال الله عز وجل على لسانه: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: 128].

بل بلغ من حرصه على ذُرِّيته أنه دعا ربَّه: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35].

وهذا من فقه الخليل عليه السلام، بل إن هذا من أعظم البرّ حيث دعا ربَّه أن يحفظ ذرِّيته من الكفر به، وعبادة الأصنام.

قال إبراهيم التيمي رحمه الله: «من يأمَنُ البلاء على نفسه بعد الخليل عليه السلام؟»[1].

يعقوب عليه السلام: كان حريصًا على ذرِّيته، فعندما أخبره يوسف عليه السلام برؤياه قال له: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: 5]، يخشى عليه السلام أن تتفرَّق الأسرة.

---

(1) أخرجه ابن جرير وابن حاتم، كما في الدر المنثور(46/5).

ولما أرادوا الرجوع إلى مصر مرَّةً أخرى أوصاهم ﷺ فقال: ﴿ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾ [يوسف: 67].

ذكر بعضُ المفسِّرين أنه خشي عليهم من الإصابة بالعين إذا دخلوا جميعًا من باب واحد، وهذا من عنايته ﷺ وحرصه على أهل بيته.

ومن حرصه ﷺ أيضًا أنه لما جمع الله شملهم – بعدما فعلوا بيوسف وأخيه ما فعلوا – لم يُثرِّب عليهم يعقوب ﷺ، بل بلغ من عظيم حرصه ﷺ على ذرِّيته أنه ما زال يوصيهم ويربيهم على الخير إلى خروج الروح: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: 133].

فانظر قوله: ﴿ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴾؛ أي: وهو على فراش الموت، يوصي أولاده وذريته بأهمّ ما عنده :أن يكون الأبناء على توحيد، وعلى إيمان بالله ﷻ، فلمَّا سألهم وأجابوه بأنهم لازمون للحق – وهو عبادة الله وحده وعدم الإشراك به – اطمأن قلبه ﷺ ومات قرير العين.

يوسف عليه السلام : بلغ من حرصه على جمع شمل أهله وآل بيته كما سلف آنفًا أن قال إخوته: ﴿ وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [يوسف: 93]، وأنه لم يُثرِّب ولم يعنف إخوته، ولم يذكرهم أمر البئر.

إسماعيل عليه السلام: كان كأبيه إبراهيم عليه السلام في عنايته بأهله. قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿54﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: 54-55]، فأولى الناس بالداعي إلى الخير هم أهل بيته.

لوط عليه السلام: لما جاءه الملائكة، وأخبروه أن قومه سيُهلكون قال: ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء: 169].

انظر إلى رحمته وخوفه عليهم، فاستجاب الله دعوته فقال ﷻ: ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴾ [الشعراء: 170-171]، وهي امرأته؛ حيث تحثُّ قومه على مُعاداة لوط عليه السلام وعلى أذيَّته.

موسى عليه السلام: كان يعتني بأهله قبل النبوَّة ويخشى الضرر عليهم: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ

﴿ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [النمل: 7]؛ أي: تستدفئون.

فإذا كانت هذه حاله مع أهله قبل النبوّة، فما بالك بعد أن اصطفاه الله برسالاته وبكلامه؟ لا شك أن الأمر أعظم، وأن الأثر أكبر.

زكريا عليه السلام: من بالغ عنايته بذرّيته أنه دعا ربَّه أن يطيب أمر ذرّيته قبل خلقها: ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران: 38]، لاحظ أنه دعا ربَّه قبل خلق الذرّية أن يجعلها طيّبة.

نبيُّنا محمدٌ ﷺ: كان أحرص الناس على أهله، وكان أعظم الناس عناية بأهله، وكان أحرص الناس على صلاح أهله.

ولهذا قال الله ﷻ له: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: 132].

وكان ﷺ أسرع الناس امتثالًا لأمر ربّه، وكان يقول: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»(1).

فمهما تعذر وتذرَّع الإنسان بكثرة المشاغل التي تشغله عن أهله، فعُذره مردود غير مقبول، فالنبيُّ ﷺ أكثر الناس مشاغل؛ كان يدعو

---

(1) أخرجه الترمذي (3895) وصححه من حديث عائشة رضي الله عنها.

إلى الله، ويُعلِّم الناس، ويؤمُّهم في الصلاة، ويقضي بينهم، ويُفتيهم، وكان يقود الغزو ويُجهِّز الجيوش والسَّرايا، وكان ﷺ يسِم إبل الصدقة، ويغزو، ويعود المرضى، ويستقبل الوُفود، ويُشيّع الجنائز... إلى غير ذلك، ومع ذلك يقول: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**».

ومن عنايته ﷺ بأهله أنه لم يترك أحدًا دون عناية، لا صغيرًا ولا كبيرًا، فمثلًا لما أكل الحسن تمرةً من تمر الصدقة وأدخلها في فيه قال ﷺ له: «**كخ كخ، أمَا شعرتَ أنَّا لا نأكل الصدقة؟**»[1]. وكان ﷺ يُلاعب الحسن والحسين ،زينب الصغيرة وقول لها: «**يا زُوَينب! يا زُوَينب**» مرارًا،[2]، وكان إذا صعد الحسن على ظهره وهو ساجد بقي ﷺ ساجدًا حتى ينزل.[3].

بل إن إحدى بناته – رضي الله تعالى عنهن – لما مرض ولدٌ لها صغيرٌ أرسلت إليه ليأتي، فاعتذر، فألحَّت عليه ليأتي فأتى ﷺ ورفع الصبيَّ الصغير ونفسُه تقعقع – يعني: أنها ستخرج –، فذرفت عيناه ﷺ من رحمته وكمال شفقته ﷺ.[4].

---

(1) رواه البخاري (3072)، ومسلم (1069) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) أخرجه الضياء في الأحاديث المختارة (109/5)، رقم(1732 ، 1733) من حديث أنس رضي الله عنه.وفي الصحيحة (2141): «سنده صحيح، رجاله ثقات».

(3) أخرجه النسائي (229/2)، وأحمد (493/3) من حديث شداد رضي الله عنه.

(4) أخرج القصة البخاري (7377)، ومسلم (923) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

ومن رحمته وعنايته بأهل بيته أنه لما جاءته ﷺ ابنتُه فاطمة — رضي الله عنها — تسأله خادمًا فلم تلقهُ ﷺ، فأخبرت عائشة رضي الله عنها بذلك، ثمَّ أخبرت عائشةُ رضي الله عنها النبيَّ ﷺ بذلك، فجاء ﷺ إلى بيت عليٍّ وفاطمة رضي الله عنهما ودخل عليهما فقال لهما: «**ألا أدُلُّكُما على خَير لكما مِن خادم؟ تُكبِّران الله عند النوم أربعًا وثلاثين، وتحمَدان ثلاثًا وثلاثين، وتُسبِّحان ثلاثًا وثلاثين، فذلكما خيرٌ لكما من خادم**»[1].

والشاهد: مجيئُه ﷺ من بيته إلى بيت علي وفاطمة رضي الله عنهما، وهذا دليلٌ على عظيم عنايته، وحرصه على آل بيته عليه الصلاة والسلام ورضي الله تعالى عنهم.

* * *

تحملهم عليهم السلام أسئلة الناس

ومن أخلاق الأنبياء عليهم السلام، تحمل أسئلة الناس.

إن على داعي الخير، ومن كان عنده علم أن يتحمَّل أسئلة الناس؛ لأن في ذلك مصالح كثيرة ومنها:

أنها قُربة يتقرَّب بها إلى الله عز وجل ويؤجر عليها، وتزيل جهلًا عند السائل ويستمرّ الأجر يجري عليه إذا انتشر خبر جوابه على أسئلة الناس.

---

(1) رواه البخاري (5361)، ومسلم (2727) من حديث علي رضي الله عنه.

فلا تتهاون في ذلك واحرص – رعاك الله – على أن تُعوِّد نفسك على تحمّل أسئلة الناس؛ لأنَّهم ما أتوا إليك إلَّا لعلمك، ولما آتاك الله، وانظر في سير الأنبياء عليهم السلام: كيف كانوا يتحمَّلون أسئلة الناس؟ سواء كانت تلك الأسئلة من الكفار أم من المسلمين، وسواء كانت تلك الأسئلة لتحصيل أمر دين أو دُنيا؛ فقد كانوا عليهم السلام يتحمَّلون كل ذلك، فإن كانت تلك الأسئلة من الكفار فذلك لرجاء هدايتهم، وإن كانت من المسلمين فذلك لتكون الإجابة زيادة في تعليمهم لأمر دينهم.

موسى عليه السلام: يقول الله تعالى عن قوم موسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: 61].

فهم سألوا موسى طمعًا في تنويع الأكل، ولم يسألوه عن مسألة علمية، فتحمَّل موسى عليه السلام ذلك، وتحمَّل أسئلة بني إسرائيل رجاءَ هدايتهم.

ولما أمرهم الله بذبح البقرة وأخبرهم موسى عليه السلام بذلك سألوهُ عدة أسئلة. فبينها لهم، حيث قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ

أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾ [البقرة: 67-68]، فبيَّن لهم ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا لَوْنُهَا ﴾ [البقرة: 69]، فبين لهم ﴿ قَالُوا ادْعُ لَّنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ [البقرة:70]. فبيَّن لهم، كل ذلك رجاء هدايتهم، لكن بعضهم جحد فكان عاقبةُ أمره خسرًا.

صالح عليه السلام: طلب قومُه منه آيةً، وليس هذا من السؤال العلمي ولكن أرادوا آيةً على صدقه؛ لأنهم يزعمون أنه كاذب وهم يعلمون صدقه، لكن من باب التعجيز: ﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ* قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الشعراء: 154-155].

عيسى عليه السلام: طلب منه بعضُ قومه أن يُنزِّل عليهم مائدةً من السماء، فذكرهم بالله سبحانه وتعالى، وخوفهم منه، ولكن ألحّوا عليه، فسأل عليه السلام ربَّه عز وجل فقال عليه السلام: ﴿ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [المائدة: 114].

فانظر كيف أن أنبياء الله عليهم السلام يلبون أسئلة أقوامهم وإن كان فيها تعنُّت إذا كان في إجابتهم مصلحة في سبيل هدايتهم.

نبيُّنا محمد عليه الصلاة والسلام: لقد كان ﷺ يتحمَّل أسئلة قومه ويتحمَّل طلب شفاعتهم، أو ما يطلبون منه أن يفعله لهم بقدر المستطاع إذا كان في ذلك مصلحة.

فكثرت عليه الأسئلة عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك كان أرحبَ الناس صدرًا، وكان أوسع الناس بذلًا.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: 189].

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: 215].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: 217].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: 219].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ [البقرة:220].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: 222].

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ [المائدة: 4].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [الأعراف: 187].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال: 1].

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ [الإسراء: 85].

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾ [الكهف: 83].

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ [طه: 105].

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [النساء: 153].

هذه بعض الأسئلة ومع ذلك كان ﷺ يُجيب بما علّمه الله، فإذا أمره الله بالإمساك أمسك، وهذا يتبيَّن في المعلم التالي:

* * *

ورعهم وحذرهم عليهم السلام من القول على الله ﷻ بلا علم

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم أورع الناس وأحذرهم من القول على الله بلا علم؛ ذلك لأن القول على الله بلا علم من أعظم الموبقات، بل هو أعظمها.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

«وقد حرَّم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفُتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرَّمات، بل جعلهُ في المرتبة العُليا منها. فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا

عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 33]. فرتّب المحرّمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثمَّ ثنى بما هو أشد تحريمًا منه وهو الإثم والظلم، ثمَّ ثلث بما هو أعظم تحريمًا منهما وهو الشرك به سبحانه، ثمَّ ربَّعَ بما هو أشدُّ تحريمًا من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعُمُّ القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه»[1].

ولقد كان أنبياء الله تعالى عليهم السلام أبعد الناس وأحذر الناس من القول على الله بلا علم، ومن شواهد ذلك:

نوح عليه السلام: لما سأل الله نجاة ابنه عاتبه ربُّه عز وجل: ﴿ **فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ*قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** [هود: 46-47]، فدعا ربه وخافه بعد أن استعاذ به أن يقول ما ليس له به علم.

عيسى عليه السلام: عندما سأله ربُّه – وهو أعلم به – : ﴿ **ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا**

(1) أعلام الموقّعين عن ربِّ العالمين (38/1).

﴿يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: 116]؛ لأن الإلهية حق لله وحده، فلا يليق بمخلوق أن يدّعيها.

نبيُّنا محمد عليه الصلاة والسلام: أدّبه ربُّه فقال له: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:50].

* * *

إكرامهم عليهم السلام للضيف

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم أكرم الناس بالضيف.

إبراهيم عليه السلام: قص الله علينا خبره عليه السلام مع أضيافه فقال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: 69]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ* فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ [الذاريات: 26-27].

قال بعض العلماء: جمعت هذه الآية آداب الضيافة، وأصول الكرم.

فإبراهيم عليه السلام جاءه الضيوف فجأة. والفرق معروف بين من استعدّ للضيوف قبل مجيئهم ومن أتوه فجأة، فكان – عليه الصلاة والسلام – أكرم الناس.

أيضًا من بالغ كرم الخليل عليه السلام أن الله تعالى قال عنه: ﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ ﴾، والرَّوغان: من السرعة، فلم يتأخَّر عليه السلام في حق ضيافتهم.

﴿ فَجَاءَ بِعِجْلٍ ﴾ ولم يأت ببعض عجل، ومن صفات هذا العجل أنه ﴿ سَمِينٍ ﴾، وفي آية أخرى: ﴿ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ أي: مشويّ على الحجر.

﴿ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ ﴾وهذا من أكمل الضيافة، وهو تقريب الطعام للضيف، ومعلوم أن أعراف الناس تختلف في ذلك، ولكن الشاهد أن إبراهيم عليه السلام قرَّب الطعام إلى أضيافه ثمَّ قال عليه السلام: ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ أداة عرض، وهذا من أبلغ الأدب في الضيافة.

أيضًا في تحيتهم لما قالوا: ﴿ سَلَامًا ﴾ ،قَالَ: ﴿ سَلَامٌ ﴾ جملة اسمية متجدِّدة؛ أي: السلام عليكم دائمًا، فاختار عليه السلام أطيب الطعام، بأسرع الأوقات، وقرَّبه إليهم، ولم يأمرهم بالذهاب إليه،

وعرضه عليهم بألطف العبارات، كما أنه اختار أطيب ألفاظ الترحيب بالأضياف.

لوط عليه السلام: لما جاءه الأضياف أتاه قومُه يُهرعون إليه يريدون الفاحشة، فكان همُّه عليه السلام هداية قومه وصيانة أضيافه: ﴿ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ* وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ* قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ* قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [الحجر: 68-71]. أي: إن كنتم تريدون الزواج الشرعيَّ فاختاروا من بنات القرية، فكلهم بناتي في الإسلام؛ لأن النبيَّ أبٌ للمؤمنين جميعًا، أو من بناتي في بيتي أعطيكم إياهن بالزواج الشرعي، ولكن اتقوا الله في ضيفي ولا تفضحوني ولا تُخزوني.

ولهذا كان من أبلغ الإكرام في الضيافة أن يُدافع عن أضيافه، ويقول لمن أراد الاعتداء عليهم: هؤلاء بناتي تزوَّجوهن بالزواج الشرعي، وكفوا عن الفاحشة المحرَّمة؛ لشناعتها، وقبح التعامل مع الضيف.

نبيُّنا محمد ﷺ: لقد كان ﷺ أكرم الناس في ضيافته، بل كان – عليه الصلاة والسلام – يُؤثر أضيافه على نفسه بالطعام ولو كان قليلًا، فكيف إذا كان الطعام كثيرًا؟

خرج مرَّةً، فإذا بالصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه في الطريق، فعرف ﷺ أنه جائع، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «قعدت يومًا على طريقهم الذي

يخرُجون منه، فمرَّ أبو بكر فسألتُه عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليُشبعني، فمرَّ ولم يفعل، ثمَّ مرَّ بي عُمَر فسألتُه عن آية من كتاب الله؛ ما سألتُه إلا ليُشبعني، فمرَّ فلم يفعل، ثمَّ مرَّ بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني وعرَف ما في نفسي وما في وجهي، ثمَّ قال: «**يا أبا هرّ**»، قلتُ: لبيك يا رسول الله، قال: «**الحق**»، ومضى فتبعتُه، فدخل فاستأذن، فأذن لي، فدخل فوجد لبنًا في قدح فقال: «**من أين هذا اللبن؟**»، قالوا: أهداه لك فلانٌ أو فلانة. قال: «**أبا هرّ**»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**اِلحق إلى أهل الصُّفَّة فادعُهم لي**». قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوُون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقةٌ بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هديةٌ أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟! كنتُ أحقَّ أنا أن أصيب من هذا اللبن شربةً أتقوَّى بها، فإذا جاء أمرني. فكنتُ أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُدّ، فأتيتُهم فدعوتُهم فأقبلوا فاستأذنوا، فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: «**يا أبا هرّ**»، قلت: لبَّيك يا رسول الله. قال: «**خُذ فأعطهم**». قال: فأخذتُ القدح فجعلتُ أعطيه الرَّجل فيشربُ حتى يروى، ثمَّ يرد عليَّ القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدح فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدح حتى انتهيتُ إلى النبي ﷺ وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر

إليَّ فتبسَّم فقال: «**أبا هرّ**»، قلتُ: لبيك يا رسول الله، قال: «**بقيت أنا وأنت**»، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: «**اقعُد فاشرب**»، فقعدتُ فشربت فقال: «**اشرب**» فشربتُ، فما زال يقول: «**اشرب**»، حتى قلت: لا والذي بعثك بالحقِّ ما أجدُ له مسلكًا! قال: «**فأرني**»، فأعطيته القدح، فحمد الله، وسمَّى وَشرِبَ الفضلة[1].

فأيُّ كرم بعد كرمه عليه الصلاة والسلام؟!

* * *

رحمتهم عليهم السلام بالمدعوين

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم أرحم الناس بالمدعوِّين رجاء هدايتهم.

فالداعي إلى الله ﷻ همُّه أن يهتدي المدعوُّون.

نوح عليه السلام: يتحبَّب إلى قومه شفقةً وخوفًا عليهم: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: 62]، بل بيَّن خوفه عليهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59].

(1) أخرجه البخاري (6452) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إبراهيم الطَّيْلا: لما جاء الملائكة وأخبروه بأنهم سيهلكون قوم لوط جادلهم إبراهيم الطَّيْلا، فقال الله عنه: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ*إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ*يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ [هود: 74-76].

هود الطَّيْلا: آذاه قومُه ورمَوه بالسَّفه وتهكموا به: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ*قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَّبِّ الْعَالَمِينَ*أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف: 66-68] ، ثمَّ بشَّرهم إن هم أطاعوه بالخير: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: 52].

فأيُّ شفقة وأيُّ رحمةٍ كرحمة الأنبياء عليهم السلام بأقوامهم؟

صالح الطَّيْلا: سلك مسلك إخوانه الأنبياء عليهم السلام فخاطب قومه وحذرهم مغبَّةَ المعصية: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ

﴿ ... الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف:74].

فعاندوا وأعرضوا، ومع ذلك لما رأى إعراضهم تولى عنهم وقال:

﴿ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف: 79].

فالشاهد: أن الأنبياء عليهم السلام كانوا أرحم الناس بأقوامهم.

* * *

لزومهم عليهم السلام لما يأمرون به
وبعدهم عليهم السلام عما ينهون عنه

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم ألزم الناس لأنفسهم فيما يأمرون الناس به، وأبعدُهم عمَّا ينهون الناس عنه.

شعيب عليه السلام: لقد أخبر الله عنه قوله: ﴿ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ [هود: 88].

نبيُّنا محمد ﷺ: قال: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 163].

وهكذا لسانُ حال كل نبيٍّ مع قومه: إذا أمرتكم بأمرٍ فأنا أوَّل المؤتمرين، وإذا نهيتكم عن شيء فأنا أوَّل المنتهين، وهذا من أعظم الأخلاق وأشرفها، ولهذا ذمَّ الله من خالف ما أمر الناس به. ويُفهم من ذلك مدحُ من أمر الناس وائتمر. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ*كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2-3]، ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44].

* * *

استمرار دعوتهم عليهم السلام للمخالف

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: استمرار دعوتهم للمخالف وعدم قنوطهم منه.

نوح عليه السلام: استمرَّ يدعو قومه ألف سنةٍ إلَّا خمسين عامًا بكلِّ وسيلة كما ذكر الله عز وجل عنه في سورة نوح، واستمرَّ يدعو ابنه إلى أن حال بينهما الموج.

نبيُّنا محمد ﷺ: كان يدعُو عمَّه أبا طالب حتى خرجت روحُه، والنبيُّ ﷺ عنده، وهو يحتضر، يقول له: «**يا عمّ، قل لا إله إلا الله، كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله**»[1].

وزار ﷺ الغُلام اليهوديَّ، ودعاه فاستجاب له، ومات مسلمًا، فقال ﷺ: «**الحمدُ لله الذي أنقذهُ من النار**»[2].

* * *

استمرار عنايتهم عليهم السلام بمن تبعهم

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: استمرار عنايتهم، وحرصهم على أهل الإيمان من بيوتهم وأمَّتهم، وذلك من باب الزيادة في تثبيتهم.

---

(1) رواه البخاري (6681)، من حديث المسيب رضي الله عنه، كما تقدم.

(2) رواه البخاري (1356).

يعقوب عليه السلام: كان حريصًا على ذرِّيته يدعوهم مع أنهم أهل إيمان. ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133]. فأراد عليه السلام أن يزيدهم ثباتًا.

* * *

تحملهم عليهم السلام أذية قومهم

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: تحمُّل أذية أقوامهم.

فقالوا عنهم: سفهاء، وقالوا: شعراء، وقالوا: إنهم أهل جنون، ومع ذلك كان الأنبياء عليهم السلام أرحبَ الناس صدرًا وأكثر الناس تحملًا، وهكذا الداعي عليه أن يتحمَّل أذية السفهاء؛ حتى ينال الأجر من الله، ويرجوا بذلك هدايتهم ودخولهم في دعوة الخير.

* * *

عدم شماتتهم عليهم السلام بالعصاة إذا عوقبوا

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم لا يشمتون بالعصاة إذا وقعت العقوبة بهم.

فالشماتة ليست من الخُلق الفاضل، والأنبياء عليهم السلام من أبعد الناس عن الشماتة عند حلول العقوبات، وانظر كيف كان أمر الأنبياء، وحالهم عليهم السلام عندما حلَّت العقوبة بمخالفيهم:

قوم صالح عليه السلام: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف:78]،هل شمت أو تهكم صالح عليه السلام بهم؟ قال الله تعالى عنه: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي

وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف: 79]، منتهى الرقة والعطف.

قوم شعيب ؏: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ* الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف:91-92].

والشاهد: ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ [الأعراف: 93].

فعليك يا من تدعو إلى الخير إذا رأيتَ من ابتُلي أن تحمد الله ﻷ. قال عليه الصلاة والسلام: «**من رأى مُبتلى فقال: الحمدُ لله الذي عافاني ممَّا ابتلاك به وفضَّلني على كثيرٍ ممَّن خلقَ تفضيلًا، لم يُصبه ذلك البلاء**»[1].

* * *

(1) أخرجه الترمذي (3432) من حديث أبي هريرة ﭬ.

حرصهم عليهم السلام على البعد عن أسباب الجهالة

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم أحرص الناس على البُعد عن أسباب الجهالة.

نوح عليه السلام: لما سأل ربَّه نجاةَ ابنه – لأنه لم يعلم حالهُ – نهاه ربُّه تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: 46]. فلمَّا علم نوح عليه السلام بنهي ربه عز وجل له سارع عليه السلام إلى البعد عن أسباب الجهالة فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: 47].

موسى عليه السلام: لما أمر قومه بذبح البقرة ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: 67]. فالاستهزاء بالناس جهالة، وهذا فيه البُعد عن أسباب الجهالة.

* * *

حرصهم عليهم السلام على التزود من العلم

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنهم أحرص الناس على التزود من العلم.

ولذا رحل موسى عليه السلام إلى الخضر عليه السلام؛ ليزداد منه علمًا.

وأمر الله تعالى نبيَّه محمدًا – عليه الصلاة والسلام – أن يسأله الزيادة من العلم فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، وكان عليه الصلاة والسلام يسأل ربَّه العلم النافع.

* * *

عظيم ثقتهم عليهم السلام بالله عز وجل

وحسن ظنهم به سبحانه وتعالى

ومن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: عظيم ثقتهم بالله عز وجل وحسن ظنهم بالله سبحانه وتعالى.

فالأنبياء عليهم السلام هم أحسن الناس ظنًّا بالله عز وجل. قال عليه الصلاة والسلام: «**قال الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي؛ إن ظنَّ خيرًا فله، وإن ظنَّ سوءًا فعليه**»[1].

شعيب عليه السلام: من حُسن ظنِّه وقوَّة يقينه أن الله عز وجل سينصرُه وينتقم من الكافرين قال: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: 89].

---

(1) أخرجه الإمام أحمد (391/2) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

موسى عليه السلام: من عظيم ظنه بالله الظن الحق أنه سينصر المؤمنين ويهلك الكافرين قال لقومه: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128]، وفي سورة الشعراء: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ* قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 61-62].

وبعد ذلك؛ اعلم أن ما ذُكر من أخلاق الأنبياء عليهم السلام هو قليل من كثير، فعليهم وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والتسليم.

* * *

من ثمرات التخلق بأخلاق الأنبياء عليهم السلام

لما كان أنبياءُ الله عليهم السلام أفضل الناس أجمعين؛ كان من لازم ذلك أن أخلاقهم أحسن الأخلاق وأزكاها وأطيبها وأعلاها، وكل مسلم يحرص على التخلق بشيءٍ من تلك الأخلاق العظيمة، إلَّا أن دُعاة الناس للخير هم أولى الناس بسلوك مسلك تلك الأخلاق؛ لأن دعوة الناس إلى الخير هي وظيفة الأنبياء عليهم السلام.

فإذا سلك داعي الخير منهج أخلاقهم في دعوتهم جنى من رياض أخلاقهم وآدابهم ثمارًا كثيرةً، فمن ثمرات التخلق بأخلاق الأنبياء عليهم السلام:

1 – زيادة محبة الأنبياء عليهم السلام في القلوب:

وذلك أن المسلم إذا أمعن النظر في عظيم أخلاق الأنبياء عليهم السلام، وكيف كانوا أعظم قدوة في طيب ألفاظهم، وحُسن أفعالهم، مع ما أصابهم من عناد المعاندين وأذيتهم، فإذا تذكر المسلم ذلك زاد حبُّه للأنبياء عليهم السلام، وزاد رغبةً في سماع سيرهم وفضائلهم، وأبغض أعداءهم وشانئيهم.

2 – امتثال أمر الله تعالى لنبيّنا محمد ﷺ: ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ ﴾ .

فنحن مأمورون بالاقتداء بنبيّنا ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: 21] ، فاقتداء المسلم بالنبيّ ﷺ اقتداءٌ بجميع الأنبياء عليهم السلام.

3 – زيادة الإيمان بالله ﷻ:

ذلك لأن أخلاق الأنبياء عليهم السلام تجمعُ فضائل الأعمال والأقوال، والتمثل بفضيلة واحدة يزيد إيمان العبد، فكيف بفضائل كثيرة؟ ناهيك إذا كانت تلك الفضائل من أعمال الأنبياء عليهم السلام وأقوالهم.

4 – البُعد عن تلبيس الشيطان وما يحسِنّه للعبد من سيء الأقوال والأعمال:

فإذا تخلق العبدُ بأخلاق الأنبياء عليهم السلام ثم أراد الشيطان تزيين سيء العمل له تذكر العبدُ أن الأنبياء عليهم السلام أبعدُ الناس عن ذلك؛ فتتيقظ نفسه ويزجُرها يردعُها عن الإقدام عليه. ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201].

5 – حُسن التعامل مع المدعوّين من الناس عمومًا:

فالأنبياء عليهم السلام يبلغون أقوامهم رسالات الله ﷻ لهم ويُرغبونهم في الخير ويحذرونهم من الشر، ويتحمَّلون عنادهم رجاءَ هدايتهم، ولا يشمتون بهم عند وقوع العقوبات عليهم، فتلك الأخلاق النبوية إذا تذكرها دُعاة الخير ولزِموها عظُم أجرُهم وكثُر نفعُهم، وكانوا قدوةً لغيرهم في جميع أمورهم.

6 – حُسن التعامل مع الأقربين:

بدءًا بالوالدين والأولاد، فالمسلم يعتني ببر والديه كما كان الأنبياء عليهم السلام كذلك، ويعتني بتربية أولاده كما كان الأنبياء عليهم السلام كذلك، ويصلُ رحمه ويتودَّد إليهم كما كان الأنبياء عليهم السلام كذلك.

وهاهنا يقال: إن من أهمل شأن والديه لحجَّة التفرُّغ لدعوة الناس أو طلب العلم فإن تلك الأعذار واهية مردودة؛ ذلك أن الأنبياء عليهم السلام هم أحرص الناس على الدعوة، وهم مع ذلك أبرُّ الناس بوالديهم، وأكثر الناس عنايةً بأولادهم وبيوتهم.

فإهمال أمر الوالدين والأولاد منافٍ لأمر الله تعالى، ومجانبٌ لأخلاق الأنبياء عليهم السلام، ولذا فمع كثرة مشاغل النبي ﷺ من استقبال وفود، وقيادة جيوش، وعيادة مرضى، وتشييع جنائز، وتقسيم غنائم وصدقات وزكوات مع ذلك كلِّه، فإنه ﷺ كان قائمًا بأمر أهله وبيوته أتمَّ قيام، كما قال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[1].

7- تعميق معنى القدوة في النفوس:

فإذا استشعر المسلم تلك الأخلاق النبيلة والخصال الشريفة، وكيف أثرُها على أصحابها والعاملين بها والسامعين عنها تعمَّق معنى أثر القدوة في نفسه، ولزم ذلك السَّمت والهدي؛ لينفع نفسه أولًا وينفع غيره ثانيًا، فالقدوة الفعلية دعوة مؤثِّرة، فكيف إذا ضمَّ إليها القدوة القولية من طيب الألفاظ وحُسنها؟

(1) سبق تخريجه .

8 – معرفة مكامن النقص في النفس:

وذلك أن أخلاق الأنبياء عليهم السلام مرآةٌ صافية تكشف لناظرها حسن أموره وسيِّئها، فإذا عرض المرءُ أخلاقه وتصرُّفاته على مرآة أخلاق الأنبياء عليهم السلام عرف – بل تيقن – بما يلزم من الأخلاق، وبما يجانب فيها، فجميع ظروف حياته وأطوار مجتمعه قد مرَّ بالأنبياء عليهم السلام أعظم منها وأشدّ، ومع ذلك لم يفارقوا أحسن الأخلاق في سرَّائهم وضرَّائهم مع عامَّة الناس وخاصَّتهم.

9 – الحذر من العُجب والرّياء والبُعد عن أسبابهما، ولزوم سبيل الإخلاص لله تعالى:

وبيان ذلك أن داعي الخير إذا أقبل الناسُ إليه وتكاثرت الجموع عليه، فربما تُعجبُه نفسُه ويرغب في سماع مدحهم وثنائهم، وهذا من أعظم أبواب تلبيس الشيطان.

لكنه إذا ذكر أخلاق الأنبياء عليهم السلام، وكيف كانوا أخلص الناس لله تعالى، مع ما أظهر الله تعالى لهم من آيات عظيمة أبهرت أقوامهم وأدحضت حُجج المعاندين، ومع ما أنزل الله ﷻ على المخالفين لهم من العقوبات المتنوِّعة، ومع كل ذلك كانوا عليهم السلام أخلص الناس ﷻ، وأنزل الناس، وأكثرهم مجانبةً للرِّياء والسُّمعة.

10 – الدفاع عنهم وعدم التهاوُن بالقدح في أحدهم ولو من طرف خفي:

فالعاقل تأنف نفسُه ولا ترضى بالقدح في المسلم المستور، فكيف بمن ظهر فضلُه من عامَّة المسلمين؟ فكيف بعُلمائهم؟ بل إذا كان من الديانة الدفاع عن علماء السنة المشهود لهم بالعلم والفضل، فكيف يكون الشأن في قدوة العلماء ومصابيحهم وهم أنبياء الله ورسُله عليهم السلام؟!

11 – البُعد عن أبواب اليأس والقنوط والحذر من تلبيس الشيطان وتثبيطه:

فإذا قدَّمت نصيحةً لأحدٍ، فردَّها ولم يقبلها، فلا تيأس منه ولا من غيره ممن يستحق النصح، بل استمرَّ في دعوة المقصِّرين بعلم ورفق، ولو قُدِّر عدم استجابة الأكثرين لك فتذكر أن بعض الأنبياء عليهم السلام مع طول مدة حياته، لم يستجب له إلا قلة من قومه، كنوح عليه السلام: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:40]، بل إن بعض الأنبياء عليهم السلام لم يستجب له أحدٌ البتة، كما جاء في الحديث عنه ﷺ: «**عُرِضتْ علَيَّ الأممُ فرأيتُ النبيَّ ومعهُ الرَّهط، والنبيَّ ومعه الرَّجُل، والنبيَّ وليس معهُ أحَد...**»[1]، ومع ذلك كلِّه كانوا –

---

(1) رواه البخاري (3291)، ومسلم (220) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

عليهم الصلاة والسلام – مستمرِّين في دعوتهم لأقوامهم على أحسن سيرة وأصدق سريرة، فكيف بمن يغرق في بحر اليأس والقنوط من أوَّل مرَّة أو مرَّات؟

* * *

اللهمَّ إنا نسألك بأسمائك الحُسنى، وصفاتك العُلى أن تهدينا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وأن تصرف عنَّا سيئها لا يصرفُ سيئها إلا أنت. اللهمَّ كما حسَّنت خلقنا فحسِّن أخلاقنا. اللهم إنا نعوذُ بك من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وجميع الأنبياء وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

الفهرس

مقدمة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان 5

مقدمة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين 6

المقدمة: 7

المقدمة الأولى: 8

المقدمة الثانية: 8

المقدمة الثالثة: 9

المقدمة الرابعة: 9

ميزان العشيرة: ﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ** ﴾

[عبس: 34 – 36]. 10

إذن الميزان الحق والرفعة الحقيقية: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾

[الحجرات: 13]. 10

المقدمة الخامسة: 11

المقدمة السادسة: 11

المقدمة السابعة: 13

المقدمة الثامنة: 13

المقدمة التاسعة: 14

المقدمة العاشرة: 15

المقدمة الحادية عشرة: 16

المقدمة الثانية عشرة: 18

المقدمة الثالثة عشرة: 18

المقدمة الرابعة عشرة:..19
فلقد زكَّى الله لسانه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: 3]. 19
وزكَّى بصره: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: 17].............19
وزكَّى الله خُلُقَه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]............19
المقدمة الخامسة عشرة: 19
المقدمة السادسة عشرة: 20
المقدمة السابعة عشرة:..21
المقدمة الثامنة عشرة:..22
خشيتهم عليهم السلام لله عز وجل..................................23
أدبهم عليهم السلام مع الله..25
عدم انتقامهم عليهم السلام لأنفسهم 26
شكرهم عليهم السلام لله عز وجل.....................................30
وقال عليه السلام : ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: 33- 34].
....31
مسارعتهم عليهم السلام في الخيرات...................................33
نبيُّنا ﷺ قال: ﴿... وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 163]. 33
وفاؤهم عليهم السلام بالوعد 34
معرفتهم عليهم السلام حق الوالدين....................................36
نوح عليه السلام: قال: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [نوح: 28]. وكانا مسلمين.
....37

يحيى عليه السلام: قال الله عنه: ﴿ **وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا** ﴾ [مريم: 14]. 37

عيسى عليه السلام قال: ﴿ **وَبَرًّا بِوَالِدَتِي**... ﴾ [مريم: 32]................ 37

حرصهم عليهم السلام على أولادهم وأهليهم ووالديهم 40

ولهذا قال الله عز وجل له: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾ [طه: 132]. 44

تحملهم عليهم السلام أسئلة الناس 46

﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ** ﴾ [البقرة: 222]. 49

ورعهم وحذرهم عليهم السلام من القول على الله عز وجل بلا علم 50

إكرامهم عليهم السلام للضيف 52

رحمتهم عليهم السلام بالمدعوين.. 56

لزومهم عليهم السلام لما يأمرون به 58

وبعدهم عليهم السلام عما ينهون عنه.................................... 58

نبيُّنا محمد ﷺ: قال: ﴿ **وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الأنعام: 163]. 59

استمرار دعوتهم عليهم السلام للمخالف.................................. 60

استمرار عنايتهم عليهم السلام بمن تبعهم 60

تحملهم عليهم السلام أذية قومهم 62

عدم شماتتهم عليهم السلام بالعصاة إذا عوقبوا.......................... 62

حرصهم عليهم السلام على البعد عن أسباب الجهالة 64

حرصهم عليهم السلام على التزود من العلم.............................. 64

عظيم ثقتهم عليهم السلام بالله ﷻ 65
وحسن ظنهم به سبحانه وتعالى.. 65
من ثمرات التخلق بأخلاق الأنبياء عليهم السلام........................ 66
1 – زيادة محبة الأنبياء عليهم السلام في القلوب: 67
2 – امتثال أمر الله تعالى لنبيّنا محمد................................ 67
3 – زيادة الإيمان بالله ﷻ:.. 67
4 – البُعد عن تلبيس الشيطان وما يحسِنّه للعبد من سيء الأقوال والأعمال:
.... 68
5 – حُسن التعامل مع المدعوّين من الناس عمومًا:........................ 68
6 – حُسن التعامل مع الأقربين: 68
فإذا استشعر المسلم تلك الأخلاق النبيلة والخصال الشريفة 69
8 – معرفة مكامن النقص في النفس:.................................. 70
9 – الحذر من العُجب والرّياء والبُعد عن أسبابهما، ولزوم سبيل الإخلاص لله تعالى: 70
10 – الدفاع عنهم وعدم التهاوُن بالقدح في أحدهم ولو من طرف خفي:
.... 71
11 – البُعد عن أبواب اليأس والقنوط والحذر من تلبيس الشيطان وتثبيطه:
.... 71
الفهرس.. 73